المفارقة في شعر عنترة
دراسة تحليلية

أ. م .د حمادي خلف سعود الركابي
جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخّص

لم يكن مصطلح المفارقة متداولًا أو شائعًا في الدراسات النقدية العربية القديمة، مثل تداوله أو شيوعه في الدراسات والبحوث في عصرنا الراهن ولكنّه كان يُتَداول بأسماء أخرى غير مصطلح المفارقة ، من مثل: التعريض ، أوالمدح بما يشبه الذم ، أوالذم بما يشبه المدح ، أوالتورية ، أوالمطابقة ، أو الكناية ، وغير ذلك ، وهذا يعني أنّ المسمّى كان موجودًا ولكن ليس تحت هذا الاسم / المصطلح (المفارقة) الذي اكتمل ، ونضج ، تقريبًا في الأدب الحديث : شعرًا ونثرًا ، بحيث أصبح ظاهرةً فنّيةً جديدةً ، وتقانة حديثة يقتنصها النقاد في لغة القصيدة الجديدة والقديمة ، يوظّفها الشاعر لإظهار التناقض بين طرفين متقابلين .

وتُعد تقنية المفارقة السردية واحدة من أهمّ التقنيات التي استعملها الشعراء في شعرهم ؛لأنّها توفر قدرًا كبيرًا من شعرية الاختزال ، والتكثيف التي تحتويها ، فضلاً عن تقديم رؤية تشكيلية تتوافر على قدر كبير من الحيوية وإثارة انتباه المتلقّي. من ثَمَّ شقّ هذا المصطلح طريقه في الدراسات الحديثة ، وأولاه الدارسون أهمّيّة كبيرة ، بما يحمله من تناقضات كثيرة يدفع إليها اختلاف أمزجة الكتّاب ، وما خلّفه الحكّام والسلاطين من آثار سلبية على المجتمعات التي حكموها .

والمفارقة في شعر عنترة بن شداد ، لم تكن مقصودة لذاتها غير أنّ التناقضات التي اوجدتها الحياة القبلية ، هي التي دفعت الى اتّباع هذا الأسلوب في شعره ، فقد عانى التشرّد والنفي والاضطهاد من قِبل القبيلة ، بسبب اللون والعِرق .

المفارقة:

المفارقة أسلوب من الأساليب البلاغية ، القائمة على التضاد ، لها معنيان أحدهما قائمٌ على المعنى الظاهر ، والآخر قائمٌ على المعنى الباطن والخفي .

إنّ استعمال هذا الأسلوب من لدن الشعراء لم يأتِ اعتباطًا بل لهم فيه تصورات عن طريق اخفائهم المعنى الذي يقصدونه ليدفعوا القارئ ((إلى مجهود لغوي وذهني وتأمّل عميق للوصول الى التعارض ، وكشف دلالته بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي الذي تضمَنه النّص وفضاءاته البعيدة))[1] ، وتقوم المفارقة على ايجاد وظائف دلالية في النص الادبي بواسطة التضاد القائم بين

المفردات التي يُريد الكاتب تطويعها عبر اللغة بحيث كلما كثُرَ ((التضاد ازدادت حدّة المفارقة في النص))[2] .

لم يرَ مصطلح المفارقة النور عند العرب إلا في الدراسات الحديثة ، بعد ان انتقل إلينا ممن الغرب ولكن الدراسات العربية القديمة كانت سبّاقة للغرب ، إلا إنه لم يُسمَّ باسم المفارقة ، بل كان يُسمى بمسمّيات أخرى ، كالتورية والمقابلة والتعريض ، فهذا ابن رشيق القيرواني (ت456) هـ يقول : ((ومن أفضل التعريض مما يجلّ عن جميع الكلام قول الله ﷻ : ((ذق إنك انت العزيز الحكيم))[3] اي ((الذي كان يُقال له هذا ويقوله وهو ابو جهل لأنه قال : ما بين جبليها . يعني مكة . اعز مني ولا اكرم ، وقيل : بل ذلك على معنى الاستهزاء به))[4] ، فالسامع عندما يسمع او يقرأ كلام ابي جهل يشعر بالمفارقة ((اعز مني ولا اكرم)) . وفي معرض كلام عبد القاهر الجرجاني (ت 471) هـ في فصل التشبيه يقول ومثال ما يجيء فيه التشبيه معقود على امرين إلا انهما لا يتشابكان هذا التشابك قولهم ((هو يصفو ويكدر ويمر ويحلو ويشج ويأسو ، ويسرج ويلجم لأنك وأن كنت أردت أن تجمع له الصفتين فليست احداهما ممتزجة بالأخرى))[5] إنَّ الكلام عند عبد القاهر قائم على الجمع بين المتضادين ، يمر ، حلو ، يسرج ، يلجم ، لأجل اظهار التشبيه في عُقد مماثلة بين امرين ، لهذا نرى أنَّ الكتّاب يختلفون في طروحاتهم عن التعريض ، ولكل واحد منهم فَهم خاص اذ لا نعثر على ((واحدةٍ صحيحة دون غيرها ، وذلك لأنَّ التنافر جزء من طبيعة الوجود))[6] . فالمفارقة نوع من انواع الدهشة التي تُعجِب المتلقّي من الناحية الاسلوبيّة وتُثير فيه الاحساس ((بأقل الوسائل تبذيراً . وصاحب المفارقة المتمرّس يستعمل من الإرشادات اقلّها)) . ولو تركنا الدراسات القديمة ، وتناولنا الدراسات الحديثة ، التي تناولت المفارقة مصطلحاً نقديًّا لوجدنا الكثير منها ، وأول دراسة عربيّة للدكتورة نبيلة ابراهيم كان عنوانها (المفارقة) التي ذكرتْ فيها أنّ المفارقة هي ايجاد ((علاقات ذهنيّة بين الالفاظ))[7] . ويرى الدكتور عبد العزيز الاهواني أنّ المفارقة ((تسجيل التناقض بين ظاهرتين لإثارة تعجّب القارئ دون تفسير وتعليل))[8] ، وفي حديث آخر نجد الدكتور عبد العزيز الاهواني يُرجِع المفارقة الى العقل والعاطفة[9] ، ونرى أنّها طروحات في غاية الاهمية ، وكان مُحقّاً فيما توصّل اليه ، لأنّ الأدب ((وثيق الصلة بمناحي الحياة العقلية والشعورية والمادية . وكلّما كان غنيّاً بدلالاته ومحتواه ، تعمّقت جذوره وصِلاته في النفس البشرية))[10] .

ويخلص الدكتور عبد الهادي خضير ; في دراسته للمفارقة في شعر المتنبي بأنها ((تعبير لغوي بأسلوب بليغ يهدف الى استثارة القارئ وتحفيز ذهنه لتجاوز المعنى الظاهر المتناقض للعبارة والوصول الى المعاني الخفيّة التي هي مرام الشاعر الحقيقي))[11] ، لا تتحقق المفارقة في النص إلاّ من خلال خلق ((أجواء ممتعة تهيمن على اذهان المتلقّين ، وتجعلهم مسحورين ومنجذبين الى متابعة العمل الفني))[12] فضلاً عن أنّها لعبة فنية يتخذها الاديب وسيلة لإغناء نصه بالدهشة

التي تُثير القارئ من خلال التضاد والتناقض اللذين يُعَدّان اساس العمل الادبي . وفي دراستنا هذه نُحاول رصد هذه الظاهرة في شعر عنترة بن شداد العبسي ، ومن المفارقات التي رُصِدت في شعر عنترة :

1 – مفارقة الحياة والموت

الموت والحياة نقيضان لا يجتمعان ، ومهما تصل ثقافة الانسان ، يبقى ينتظر حتفه الذي قدّره الله له وهو المصير ((المشترك الذي يؤول اليه الجميع على حد سواء))[13] على حين تُمثّل الحياة الاطلالة الاولى لكل الكائنات ، وهي نقطة البداية المشرقة للبشر .

والموت لم يكن نهاية الانسان ، بل الانتقال من دار الدنيا الى دار الاخرة . وقد ادرك الانسان أنّ الموت مصدر قلق دائم ، يُهدد حياته في ايّ لحظة لأنّه ((لا خلاص كائن من ملاقاتها))[14] وهو خارج عن قدر الانسان لا يمكن الهروب منها .

وفي الحقيقة أنّ الموت هو النهاية الحتمية للإنسان جسديًّا لا روحيًّا إذ تبقى الروح معلّقة عند بارئها .

وقد لاقت فكرة الحياة ما بعد الموت إيماناً مطلقاً في الفكر الانساني ، وآمنت بها معظم المجتمعات البشرية [15] قديماً وحديثاً وكشفت النصوص السومرية عن هذا الايمان المطلق لهذه المعادلة ، ونجد هذا في حضارة وادي الرافدين ، والذي وردَ في ملحمة كلكامش الاثرية [16] .

ويبدو أنّ الانسان الجاهلي آمنَ بمعادلة الحياة والموت ، واخذ يُصارع من اجل البقاء ، وكان اكثر تأثُراً بهذه المعادلة ، فهو لم يتَعَدَّ تفكير انسان وادي الرافدين ، وهي رؤية مشتركة مجسّدة بالتناقض الذي يجعل الفكر الانساني يخضع لمعادلة الحياة والموت [17] .

مما لا شك فيه أنّ النص الشعري الجاهلي ، نصٌّ منفتح يصُحُّ أنْ يكون حاضراً لكل الدراسات الحديثة ، وآية ذلك أن الشاعر الجاهلي فيه ((خلاصة تجارية في الحياة ونظراته المتأملة في الكون والوجود ، وبما أن العقلية الجاهلية في صورتها النمطية هي عقلية خاضعة لمنطق الجدلية وتَتّسم بالقلق والتساؤل تجاه موضوعات الحياة ولاسيما الغامضة منها))[18] .

ويُمكن القول :- إنَّ العقلية الجاهلية عقلية متناقضة يكتنفها الغموض والبساطة في آن واحد . ومن خلال النصوص التي بين أدينا نلمس أنّ الشاعر الجاهلي كان يعشق الحياة ، اذ حاول جاهداً بكل قواه من اجل البقاء لتحقيق تطلعاته فيها وكما احب الحياة احب الموت ، من خلاله تتحقق السعادة ، فأراد أن يجمع بين النقيضتين ((الحياة والموت)) وهذه المفارقة ذاتها ((بوصفها نوعاً من النقيضة أو تجاوز بين وجهتي نظر مختلفتين متعارضتين))[19] .

ويُجسّد قول عنترة الصراع القائم بين الحياة والموت [20] :

فقد ذكرتُكِ والرماح نواهِلُ ... منّي وبيض الهند تقطرُ من دم

فوددتُ تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرُكِ المُتَبَسِم

يُصَورُ عنترة في هذين البيتين المشهد العشقي المفارقة الفاصلة بين الحياة والموت ، إذ إنّ التحوّل الذي يعتري الحياة يجعل الشاعر يحس المفارقة بين نقطتين الحياة . الموت . ويقوم الفعل (ذكرتُكِ) بدَورٍ وظيفي على ديمومة الحياة واستمرارها التي اوجدتها الصورة المفارقة في نفسية الشاعر ، فيرتبط معنى الحياة بحالة الحب مما يدفع الانسان لاسترخاص كل ما هو غالٍ ونفيس ، كما أنّ المفردة المذكورة توحي من جهة أخرى بحالة الايجاب الثقافي الذي يفرضه منطق الفرح والسعادة . وهكذا تبرز المفارقة في رؤية الشاعر بين زمن يُجسّد زمن استمرارا الحياة وبهجتها ومفردات الثقافة الانسانية اللازمة لرخص الحيات وبذلها الحياة وبذلها .إنها صورة تخيلية رائعة رسمها الشاعر لحبيبته .

ومما يُزيد احساس الشاعر بالمفارقة هو حبه للموت لحبها والتعلّق بها

(فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثَغرِكِ المتبسم)

فالشاعر الجاهلي كان عارفاً بالمخاطر التي تحف به من هذه المفارقة إلا أنّه اعتمدها وسار عليها لأجل تحقيق اهدافه التي كان يطلبها ويريد المتعة الشخصية من ورائها .

إنّ واجد المفارقة في النص ، يظهر خشوعه للجنس الأنثوي /المرأة . المعشوقة . وذلك من خلال تصغير اسم عبلة بـ (عبيلة) ويظهر ذلك من خلال قوله [21] :

عجبت عبيلةُ من فتى متبذّلِ

عاري إلا شاجعِ شاحبٍ كـالمنصلِ

شعثِ المفـارق مُنهـجٍ سربالـُهُ

لم يدّهِن حـولاً ولـم يَترجّلِ

◉ ◉ ◉

لا تصرميني يا عُبيلُ وارجعي

فـيَّ البصيرةَ نـظرَةَ المتأمّلِ

فلرُبّ أملحَ منكِ دلاً فاعلـمي

واقرّ في الدنيـا لـعينِ المجتلـي

المفارقة تقوم على السخرية من قِبل المرأه الآخر / المعشوقة . التي تُعَد رمزاً للعنفوان والتعالي . إذ تبدي استغرابها من شجاعة هذا الفتى ، ويظهر جلياً من جسمه الهزيل الضعيف الذي اتعبه حمل الحديد، وهذه صفات امتاز بها الرجال الأشداء وهذه القوة مرتبطة بالمصدر (عاري) وقد جاء الشاعر بالمصدر (عاري) ليدل على قوة و عزيمته . ويمضي مفصلاً قوته المرتبطة بأغبرار شعره (شعث المفارق) فأغبرار شعرة صوره استعارية ، اذ شبه كثرة حمله للسيف بالثوب الذي يرتديه ويلبسه ، وحذف المشبه به وهو الشيْ المادي (السيف) وأبقى مايدل عليه (منهج) والصورة االفنية توحي بالحركة المرتبطة بالسلوك المتبع ، كما توحي باللون الأبيض ، لأنّ الطريق

عندما يسلكه الأنسان يراه ابيضاً . وهذا تعبير جميل استعمله الشاعر ' لعدم الخوف . والشاعر هنا يعيش صراع بين النفس التي تطلب الحياة وبين النفس التي تطلب الموت الذي يخلده بدليل قوله (لم يدهن) فهو يعيش صراع دائم فالسيف الذي يحمله لم يدهن بالزيت الأعتيادي لكثرة الدماء من قطع الرقاب التي يحزها . وعنترة عندما يريد أنْ يدخل المعركة فيندفع من ذاته بدليل قوله : ـ (لم يرتجل) .

والشاعر هنا يطلب رضا المرأة والتقرب اليها ، ولكن نلاحظ أنّ هذا الطلب يعرضه للسخرية من قبل الآخر (المرأة) من ذلك قوله :

لاتصرميني ياعُبيْل وأرجعي

فيَّ البصيرة نَظرَةَ المتأملِ

ويمكن القول :ـ إنّ عدم اللامبالاة التي تصدر من المرأة لاتقلل من قيمة الشاعر، بل تدفعه الى التعالي والشموخ أمامها .

فلرب أملح منك دلاً فأعلمــي

وأقر في الدنيا لعين المجتلي

وممّا يزيد تعالي الشاعر وصموده امام الحبيبة قوله[22] :

يا عبلُ كم من غمرةٍ باشرتُها

بالنفس ما كادتْ لَعمرُكِ تنجلي

فالتقليل من شأن الشاعر واحتقاره من قِبل المرأة . الحبيبة ناجم عن النظرة السوداويّة التي كانت تنظرها القبيلة إليه بأنه أقلّ منزلة ورتبة من غيره [23] .

ويحاول الشاعر من خلال هذه المفارقة أن يجعل (من خصمه ضحيّة مزدرية نظراً لتجاوزها كل ما هو اخلاقي ملزم في العهود)[24] .

ومن هنا نستطيع القول:ـ إنّ عنترة استعمل مفردات حافلة بالصور الشعرية استوحاها من البيئة الصحراوية التي تدل على القوة والصلابة .

2 – القيم الاجتماعية والأخلاقية

إنّ القيم الاجتماعية التي انماز بها المجتمع العربي قبل الاسلام ، هي قيم ذاتية فطرية وليدة الفكر الانساني الذي عاش وتربّى في الصحراء ، وهذه القيم عُرفت من خلال النتاج الادبي الذي وصل إلينا عن طريق الرواة ، فالشاعر قبل الاسلام كان يُمثّل قبيلته وهو لسان حالها ، وللعصبية القبليّة اثرٌ في تكوين القبليّة وذوبان الروح الفردية . وقد اشاد الشعراء بانتصارات قبائلهم مدافعين ومناصرين لها [25] . وبما أنَ الشاعر جزءٌ لا يتجزأ من القبيلة وواقعها فهو (المعبّر بطريقته الشعرية عن هذا الواقع وما يدور فيه من حركة وتفاعل انساني مليء بالتناقضات . وقد تتفق أنّ الحياة وكينونتها مفارقة تستمد وجودها من الاحداث والأشخاص الذين يُشكّلون قوام أي بيئة

اجتماعية ، وربما أنّ المفارقة تقدّم وجهتي نظر متعادلتين متعارضتين وتكون في اشدها عندما يشتد التضاد والتنافر والتناقض[26] ، ولعل هذا التناقض كما ذكرنا آنفاً أنّ المجتمع الجاهلي كان يقوم على النظام القبلي ؛ لأن القبيلة فيه هي الوحدة الاساسية في تكوين الشخصية العربية والملاذ الآمن الذي يتنفّس منه الفرد إذ لا يجدون متنفّساً غيرها او بديلاً عنها ((وعلى الرغم من ذوبان الفرد ولاسيما الشاعر في كيان قبيلته إلا أنه ظل يُمثل قوة في مجرى الاحداث وهذا هو الاصل الذي تقتصه طبيعة الفن في الحياة))[27] .

والقبيلة ((هي دولة قائمة بذاتها لها حدودها وسيادتها وجيشها وشعارها وكل المقوّمات الخاصة التي تجعل منها كياناً سياسيًّا مستقلاً))[28] ، ولأجل ذلك كان لها فرسان سطّروا اروع الامثلة في الدفاع عنها ، من ذلك نسمع قول عنترة [29] :

هلّا سألت الخيلَ يا بنته مالكٍ إن كُنتِ جاهلةً بما لم تعلمي
إذ لا ازالُ على رحالةِ سابحٍ نهدٍ تعاورهُ الكُماةُ مُكلّمِ
طوراً يعرّضُ للطّعانِ وتارةً يأوي إلى حصدٍ القسّي عرمرمِ
يخبْركِ مَنْ شَهِدَ الوقائعَ أنّني اغشى الوغى وأعِفُّ عند المغنمِ
جادت يدايَ له بعاجلِ طعنةٍ بمثقفٍ صدقِ القناة مقوَّمِ
كمّشتُ بالرمحِ الطويل ثيابهُ ليس الكريم على القنا بمحرّمِ

فبتأمل الأبيات الشعرية نلحظ أنّنا بالفعل امام مفارقة ، ألا وهي مفارقة الموقف التي تقوم في اساسها على التعارض بين ثقافتين ، ثقافة الشاعر وثقافة ألمحبوبة فالشاعر يسعى إلى تأصيل عالم الحب بينه وبين معشوقته **(هلّا سألت الخيلَ يا بنته مالك)** وهو في طريقه يصطدم بالقانون القبلي الرافض للّون الأسود ، وقد افضت هذه المفارقة بتوجيه نظر المحبوبة الى ابراز شجاعة الشاعر ، وجعلها مفتاحاً لقبول الآخر ، ويطرح قانون المفارقة هنا مجموعة من الجدليّات التي تصوّر الصراع الحاد بين ثقافة الشاعر والمحبوبة .

(الشجاعة / الجُبن ، العِلم / الجَهل ، الحياة / الموت) .

إنّ عالم الفروسيّة يُشَكّل في ثقافة عنترة اداة ناجعة لمواجهة حقائق كانت تشغل فكر الانسان الجاهلي ، فهو ينخرط في الشجاعة للتخلّص من الشعور بالنقص من اللّون الأسود الذي كانت تنظر له القبيلة نظرة دونيّة [30] ، وبما أنّ الشجاعة هي ثقافة الشاعر ، اخذ يفتخر بكونه عبداً اسوداً ((ليوسّع من دلالته الضيّقة المقتصرة على الانسان إلى ابعد من ذلك))[31] ، فالشاعر يُقَدّم نفسه نحو الموت ، وهذا الإقدام الطامح إلى الحرب من قِبَل الفارس والفَرَس ، على الرغم من اصابتهما ، هي مفارقة .

إنَّ عنترة قد قدّم رؤية مفارقيّة لفلسفة الحياة والموت في اطار موضوع الشجاعة ، فإنّه يعود ليؤكد شجاعته للعاذلة التي تلومه على خروجه للحرب ، إذ أراد أن يضع دليلاً على عدم اكتراثه بالحرب ، ومن ذلك قوله [32] :

بكرت تخوفني الحتوفِ كأنني اصبحت عن غرضِ الحتوف بمعْزلِ
فأجبتُها إنَّ المنيّةَ منهل لا بُد أن اسقى بكأسِ المنهلِ
فاقني حياءكِ لا ابالكِ واعلمي أني امرؤٌ سأموتُ إن لم أقتلِ
إنَّ المنيّةَ لو تمثل مُثِلَتْ مثلي اذا نزلوا بضنكِ المنزلِ
والخيلُ ساهمةٌ الوجوه كأنما تسقى فوارسها نقيع الحنظل
واذا حملتُ على الكريهةِ لم اقلْ بعدَ الكريهةِ ليتنيِ لم افعلِ

يُحاول عنترة من خلال موضوع الحرب أنْ يضع مفارقة الموقف ليُمثّل لنا صورتين ، صورة الجبن وصورة الشجاعة التي يتّسم بها ، لذا اراد أنْ يضع امام عاذلته شجاعته التي ميّزته عن غيره من الفرسان ، ويصوّر لها الحرب بالماء الذي يشرب منه كل مخلوق ، اذ صاغ هذه المفارقة على شكل سرد اخباري عن طريق صيغة الماضي (فأجبتها) وهذه الصيغة الموحية بتداعي شريط من الاجابة ، وقد صوّر هذا التداعي (بالمنهل) المورود الذي لا غنى عنه وهو يوحي بحالة من الاطمئنان الذي يستحضر صور النصر الاكبر .

وعلى الرغم من شدة الحرب وهولها، فإن الشاعر يوصي بالعفّة والحياء ، وهذه مفارقة أخرى .ومن خلال التوكيد تطالعنا مفارقة جديدة يُمثِلها قوله (اني امرؤٌ سأموت إن لم اقتل) .

إنَّ استعمال أسلوب التوكيد من قِبل الشاعر لإثبات قوة شخصه وبسالته في الحرب [33] ، وهو يرفض لقول العاذلة ولا يسمع كلامها وهذا متأتٍ من قوة عزمه وإصراره على الحرب .

وعليه نرى الشاعر مطمئناً كل الاطمئنان بشجاعته إذ لا يسمع لكلام العاذلة التي كانت تحرص على سلامته ويرد عليها بكل برود ؛ لأنه يعلم أنّ الموت مصير كل مخلوق .

وتُشكّل المفارقة في هذه الابيات بُنى مفارقيّة اخرى محاولة منه أنْ يرسم للحرب أنا مفارقة في شخصيّتها وفكرها لشدة كراهته لأعدائه .

إنَّ المنيّةَ لو تمثلَ مُثِلَتْ مثلي إذا نزلوا بضنْكِ المنزل
والخيلُ ساهمة الوجوه كأنما تسقى فوارسها نقيع الحنظل
واذا حملتُ على الكريهةِ لمْ اقلْ بعد الكريهةِ ليتني لم افعل

وتكتسب مفردة (ضنك) دلالتها المفارقة إذ يجسّدها حالة الصراع بين امرين ، الاول يُمثله الشاعر الذي يرى انه لا يحس بشيء عند نزوله إلى ساحة المعركة ، والأمر الثاني يمثّله العدو الذي يُكلله الخوف والفزع نتيجة الموقف المتأزّم للحرب .امّا عنترة فهو فارس ذو مروءة وشجاعة ،

يدخل الحرب مقداماً ، ويخرج منها منتصراً عازفاً عن كل ما يحصل عليه من مخلفاتها التي تتكالب عليها ايدي غيره ، وهذه مفارقة أخرى .

الحرب في الصحراء اتخذها العرب مصدراً من مصادر العيش والكسب في حياتهم وهي قانونهم (النافذ وملاذهم الأول والأخير)[34] .

ومن خلال ابيات الشاعر نلحظ أنّه تمرّد على الحياة وطلب الموت وعدم المبالاة ، وذلك من خلال ما قدّمه من مفهوم جديد للخلود الإنساني الذي يُمثّله قوله : [35]

كمشتُ بالرمحِ الطويلِ ثيابهُ ليس الكريمُ على القنا بمحرمِ

وهذه المفردة في عالَم الشاعر تُحقق حالة من القبول والرفض بينه وبين قبيلته .

وترتبط الشجاعة عند عنترة بالكرم ، فالكرم الذي لا يرضى أن يموت حتف أنَفَة ، بل يموت في المعركة وهذا ما يُجَسّده قوله : [36]

ومُدجّج كره الكماةِ نزاله لا مُمعنٍ هرباً ولا مُستسلمِ

ومن المفارقات العجيبة عند عنترة أته إذا كان في ضائقة من قِبل اعدائه ، لا يستنجد بالآخرين لنصرته ، ولا يستسلم لأعدائه وهي مفارقة تُعبّر عن عزمه وشجاعته ، فالإنسان الشجاع باستطاعته أن يحسم المعركة لصالحه من خلال ثباته وإصراره على النصر ، فهو يرى أنّ الضيق والشّدة في الحرب مسلكاً ايجابياً أو هدفاً من اهدافه التي يسعى من خلالها لإثبات وجوده ، ونفي كل ما يسوءه ، وإذا ما اقدم على الفعل البطولي لا يندم ولا يتراجع ومهما كلّف الأمر ذلك :

واذا حملت على الكريهةِ لم اقل بعد الكريهة ليتني لم افعل

اللغة المباشرة في هذا البيت تتضمّن مفارقة واضحة بين الرجل الجبان والرجل الشجاع، فالشجاع ما اقدم على الفعل الذي جاء لأجله في حين الرجل المُتخاذل الجبان الذي عند إقدامه على الفعل البطولي ينتابه الذعر والخوف .

كان عنترة يفتخر بقبيلته عَبْس التي انجَبَته ، كما كان يفتخر بسواد لونه واثقاً من نفسه فهو الذي يقول [37] : **انّي امرؤ من خير عَبْس منصباً شطري واحمي سائري بالمنصلِ**

يطرح الشاعر مفارقة اخلاقيّة ، ألا وهي الاعتزاز بالنفس والإعلاء من المستوى الاجتماعي ، فالشاعر يعتز بنفسه من جهة الام وهي بدورها مفارقة على الرغم من الأذى الذي يتعرّض له من القبيلة .

ويرِدُ هنا سؤال لماذا افتخر الشاعر بقبيلته أولاً ثم افتخر بنفسه من جهة الام ثانياً ؟ ، ويُمكن القول: إنّ الذاتية طغت على شِعره لأجل تقديم للآخر ووضع (نفسه تحت تصرفه لكي يكون للآخر ويكون الآخر له)[38] .

فالشاعر أبوه كبير من كبار العرب وساداتهم (عبس) ، وامه حبشية سوداء ، ولسواد أمه عاش عنترة حياة مضطربة بين الأحتقار وعدم الاحترام والفقر حيث هذا الأضطراب وحده يشكل مفارقة ، جمعت نقطتين متضادتين بين الأمل / واليأس والقرب / والبعد إذ صار ضحية هذا التضاد الاجتماعي القاهر ، ومن أجل ذلك عانى التشرد والأضطهاد والحرمان وعاش حياة مأساوية ، ولذكاء الشاعر وقدرته التصويرية ، أوجد مفارقة صنعتها نفسه الأبية بتقريب وجهات النظر المتباعدة بينه وبين قومه من جهة ومن جهة اخرى شجاعته التي رسم فيها مستقبله ومستقبل قومه لتغير مجرى الأحداث . لذا نرى أنّ المفارقة عند عنترة حولت حياته من نفي وإضطهاد الى وجود وإعتراف ونلمس ذلك في اسلوب التوكيد الخبري الماثل في مفردة (أني) التي تثبت حقيقة راسخة في الذهن ، ثم يتبعها بالاسم (امرؤ) الذي يرتبط بالتصور الحسي لمدى تأثير تلك المنزلة الرفيعة التي انمازت بها عبس عبر حرف الجر (من) هذا التأثير الذي احدثه هزّ وجدانيةَ ، من خلال صيغة التمييز (منصباً) الموحية بالمفارقة الرفيعة من جهة الاب والام ، ويميز هذه المفارقة جمع بين المكانة التي تتمتع بها قبيلته وامه السوداء وبين شجاعته التي استطاع ان يُثبت وجوده ومكانته .

3 – **المفارقة الوجدانية :**

تُشكّل المرأة مُنعطفاً من مُنعطفات الحياة الانسانية ، لِما لها من اثر فاعل في المجتمع (بوصفِها وجوداً اجتماعيّاً ونفسياً مهماً بالنسبة للرجل)[39] بما توكل لها من مهام عدة بوصفها معشوقة و زوجة و أمًا ... إلخ . و لكل مرحلة تمر بها تأخذ دورها فيها . و تكمن أهمية أثرها و هي معشوقة ، من حيث هي الملهم للإبداع العربي الذي نهل منه الشعراء العرب في عصر ما قبل الإسلام و إلى يومنا هذا . و قد اختلف الشعراء في حبهم للمرأة ، فمنهم من أحبها حبا حسيا لأجل التغني بمفاتن جسمها لإشباع رغباته ، و منهم من أحبها حبًا عذريا خالصًا ، فتفجرت في نفسه الشهامة و الفروسية و الشعر العذب . و يضم شعرنا العربي كثيرًا من النصوص الشعرية التي أغنت أدبنا العربي ، عما كابده الشعراء من شدة الوجد و الإشتهار بحوادث النساء و الصبوة إليهن و التشوق لمعاشرتهن ، و هذا ما يدخل في باب المفارقة ، التي شكلت دلالتها في استحضار الدوافع النفسية المتضادة لغرض بلوغ وضع نفسي متوازن [40] . و من المفارقات الوجدانية التي أوجدها شعر عنترة قوله [41] :

يا مَنْ رمَتْ مُهجتي من نُبلِ مُقَلتُها بأسْهُمِ قاتلات برؤُها عَسرُ
نَعيُم وصلُكِ جَناتٌ مزخرفةٌ ونارُ هَجرِكِ لا تبقي و لا تذرُ

في هذين البيتين يسترجع الشاعر ماضيه ، فقد خيم عليه الفراق عن محبوبته ،هذا الفراق الموحي بالألم ، الذي دلى عليه أسلوب النداء (يا من) إذ ارتبط شعوره الداخلي ، و في المقابل لا نجد للمحبوبة إحساسا بذلك الشعور . فهو يناجيها و يناديها من كل قلبه (يا من رمت مهجتي)

إذ نجد في هذا النداء إلتماس من عنترة الذي يحس بها وحده ، و هذا بطبيعة الحال يشكل مفارقة وجدانية ، فوصلها جنة ، و بعدها نار .

وعلى الرغم من جلادة قلب عنترة و صبره و شجاعته ، نراه أمام المرأة ضعيفا مصابا بنبل مقلة الحبيبة ، بل إنّ سهامها قاتلات و إن لم يكن كذلك ، فإن شقاءه عسيرٌ . و عليه إن عنترة كانت له معرفة بالحرب من خلال المعارك التي خاضها و كان له (أثر النظرة في قلبه بوقع النبل) .

ومن خلال قراءتنا للبيتين السابقين ،نرى لم يكن عنتره عاشقاً ، حسب ، إلى حد مثير للشفقة على حين تظهر المحبوبة تتمتع بالقوة بدليل قوله (نعيم وصلك جنات مزخرفة ، و نار هجرك لا تبقي و لا تذر) فضلا عن ذلك ما تكشفه الصياغة من خلال الفعل المسند إلى المحبوبة (رمت) .

فالشاعر يقابل بين إصابة ناجعة للسهام / و عين جميلة من غير سلاح . واللقاء جنة / والبعد نار تحرق الأخضر و اليابس .

و إذا ما عدنا إلى البيتين نجد علاقة حب بين الذات و الآخر فعلا أو حقيقة لكنها علاقة يسودها الضعف ، وذلك بسبب الفاعلية السلبية للمحبوب تجاه الذات ، تلك الفاعلية التدميرية المتجلية في النأي / و البعد / الهجر . فالشاعر يعرض حالة مزدوجة للحبيبة غير كونها تجمع النقيضتين الضعف / والقوة ، الإيجاب / السلب .

إنّ الذي جعل المرأة الحبيبة تمتلك تلك الصفات، مشاعر الشاعر ، وليضفي عليها نوعًا من الهيبة ليجعلها شخصية تمتلك تلك الصفات الحميدة ، ليخرج لنا مفارقة وجدانية . وفي موضع آخر يقول [42] :

رَمَت عُبَيْلةُ قَلبي مِنْ لواحظه بِكُلّ سَهمٍ غريقِ النَزعِ في الحَورِ
فأعجَبْ لَهُنّ سِهاماً غَيرَ طائشةٍ من الجُفونِ بلا قوسٍ و لا وَتَرِ

بدأ الشاعر بالفعل (رمت) الدال على القتال ، الفعل الذي دلت عليه مفردة (عُبَيلة) المرتبط بالمفعول به للدلالة على التعلق الشديد بها ، إذ إنّ فعل الحب دلت عليه (الياء) الجارة (بكل سهم) إذ إن الياء جاءت لتأكيد التعلق بالمحبوبة ، و في مفردة ((غريق النزع من الحور) دلالة على الجمال الذي تحمله (عُبيلة) فالشاعر يؤكد أنّ عينيّ الحبيبة و جفنيها تفعل ما لا يقدر عليه صياد مُدرّب ، و يعجب عنترة بهذه العيون الجميلة الرقيقة ، أنها تصيب الهدف من أول نظرة ، ونظرت هذه المرأة لا تذهب سدى ، و غير طائشة فهو يقابل بين ، إصابة دقيقة قاتلة وعين جميلة رقيقة . وهذه مفارقة رومانسية جميلة . ومن المفارقات التي وجدت في شعر عنترة لجوئه إلى الخيال و يمثل ذلك قوله [43] :

إنّ طيف الخيال يا عبلُ يشفي و يداوى به فؤادي الكئيب

يخبر عنترة عن شفاء طيف المحبوبة ، عبر أسلوب التوكيد الذي جاء على شكل سرد أخباري ((إنّ طيف الخيال)) هذا الإخبار الناتج عن صيغة الحاضر (يشفي) الدالة على فعل يحصل الآن مخلفًا ألما في نفسه ،هذا الألم دلت عليه مفردة (فؤادي) التي جاءت للدلالة على حالة الاشتياق و اللهفة المرتبطة بالمحبوبة (عبل) حيث الكآبة لدى الشاعر .

إنّ لجوء الشاعر إلى الخيال إدراكًا منه إنّ عالم الواقع لايحقق أحلامه و أمنياته و لأجل ((تعويض ما فاته من حب عاشه فأتجه إلى عالم الخيال ، لذا وجد في الشعر فرصة لإنهاء معاناته وأزمته النفسية الحادة التي واجهته في حبه)) [44] . كما أن الشاعر أراد من ذلك أنْ يتخذ من الخيال تعويضا للعالم الحقيقي الواقعي [45] .

يظهر الشاعر حالتين من التضاد (الشفاء / الكآبة) التي أوجدتها المحبوبة في نفسه ، بعدها ورحيلها ، والحلول التي يقدمها طيف الخيال ، أوجد مفارقة وجدانية كاذبة (سراب) وهو نوع من الوهم الزمني لإرضاء النفوس القلقة [46] ، لإيجاد الراحة .

و من الملاحظ أنّ الحب عند الجاهليين تقوى أواصره كلما ابتعد المحبوب سواء كان هذا الابتعاد ناشئا عن ظروف اجتماعية أو ظروف يقوم بها بعض الأفراد كالواشين مثلا أو قيام وضع اقتصادي شخصي يفصل بين القبيلتين المؤتلفتين و ما من حب نشأ في إطار الحضارة الجاهلية كانت إلا كان مدار البحث و التأمل لدى العشاق ، مما يجعل الحب الجاهلي يدور في جو فكري و اتجاه آخر في شعور تحل كلها محل فلسفة عامة يعتنقها أبناء تلك الحضارة [47] .

و يمكن القول إنّ عنترة كان تحت تأثير عدة مفارقات كالرومانسية ، و الكلاسيكية و غيرها .

4- مفارقة الانتماء

ظاهرة إنسانية تولد مع الشخص ، وهذه الظاهرة ترتبط بروابط اجتماعية و فكرية ، تجمعها وحدة الأرض و المصير المشترك و التأريخ ، بحيث لا يستطيع أي فرد من أفراد المجتمع أن يتخلى عنها . و عليه إن الروابط الاجتماعية ((تشعرهم بوحدتهم و تمايزهم تمايزًا يمنعهم حقوقا، ويحتم عليهم واجبات ، وهو متطور بالإرادة الإنسانية الباحثة الأفضل)) [48] .

ولا يقتصر هذا الانتماء على فئة معينة ؛ بل إنه قابل للتطور والتجديد ؛ لأن الإنسان بوجود الفعل الإنساني يمنحه قوة التفكير التي تسعى إلى إيجاد علاقات جديدة مع أفراد جدد مع مجتمعات أخرى و خصوصًا العقل العربي ،يسعى جاهدا من أجل بناء علاقات جديدة تقوم على الألفة و المحبة ، و الانتماء عند الإنسان لا يمكن رؤيته بالعين و لكن من خلال إحساس نلمسه عنده تجاه مجتمعه و وطنه ، تميزه عن غيره ،و ليس كل إنسان يعيش على أرض معينة ، أن يكون انتماءه لذلك الوطن أو لتلك الأرض بل يحدث العكس .

أما مفهوم الانتماء القبلي عند عرب ما قبل الاسلام لا نعرف عنه شيئًا إلا من خلال إبداعات الشعراء الأدبية و في مجال الشعر ، ((فالتراث الجاهلي يفتقر إلى الصياغة المنطقية والفلسفية لظاهرة الانتماء ، وعند الشعراء تداولت لفظة الانتماء)) [49] و من مفارقات الانتماء في شعر عنترة قوله [50] :

وقد علمت بنو عبس بأني أهَشُ إذا دُعِيتُ إلى الطَعانِ
وإنّ الموْتَ طَوعُ يدي إذا ما وَصَلْتُ بنانَها بالهندواني
ونِعمَ فوارسُ الهيجاءِ قَوْمي إذا علقوا الأعنّةَ بالبنانِ
هم قتلوا لقيطاً وإبنَ حُجْرٍ وأرْدوا حاجبًا وابني أبان

تبدأ الأبيات بأسلوب التوكيد (قد) التي لحقها الفعل (علم) المرتبط بدراية الشيء ، ألا وهي شجاعة عنترة و فروسيته تجاه من يقابله في المعركة . و لعظمة تلك القبيلة ، يأتي بالحرف المشبه بالفعل (بأني) إذ جاءت تلك الأداة على تعظيم تلك القبيلة ثم يتبعها بالفعل المضارع (أهش) ليحدث مفارقة حيث تكون المفارقة بين الفعل الماضي (علمت) و الفعل المضارع (أهش) ، فالشاعر يؤكد عدم تقاعسه إذا دعته القبيلة للدفاع عنها و يحدث ذلك عبر الضمير المستتر (أنا) و لوجود تناسق إيقاعي بين الفعل (علمت ، و دعيت) المرتبط بالموسيقى المكونة لجو القصة الحربية المرتبطة بشخصية عنترة .

و بعد العلم يحذر عنترة أعداءه بانقياد الموت طائعا ؛ إذ أنّ الموت كان مرتبطا بمفردة (وصلت) و هذا الوصال كان مرتبطا بالقبيلة . حيث وحدة الصف لا يكون الموت منقادا لها وهذه بطبيعة الحال مفارقة أخرى ؛ لأن الموت لا ينقاد باليد ، وهي كناية عن القبيلة و بأسها الشديد . كما أنّ القتال له وقت محدد جاء بالفعل (أهش) لارتباطه بالزمان ، ومما يعزز الارتباط بالزمان مفردة (وصلت) التي تدل على شدة القتال و القتل ، و هذا مرهون بإيصال السيف إليها والذي دل عليه حرف (الباء) .

بقي القول أنّ حدة الانتماء عند الشاعر وصلت إلى درجة الالتحام الانفعالي و هذا ما نلمسه في قوله :

و نعمَ فَوارِسُ الهيَجاء قَومي إذا علقوا الأعنةَ بالبنانِ

والواقع أن حالتي الانسجام و التلاحم بين الشاعر و قبيلته قويتان جدًا ، و المعروف عن بعض الشعراء الجاهليين لايمدحون الرجل إلا بما فيه [51] .

وعند استقراءنا للبيت الأخير تطالعنا مفارقة جديدة ،ألا وهي أن شجاعة الفرسان مرهونة بتمطيهم صهوات جيادهم وركوبهم .

ويوسع عنترة من دائرة انتمائه لذا يقول [52] :

إذا ما مشوا في السّابغاتِ حَسبتهُمْ سُيولاً و قد جاشَتْ بِهِنّ الأباطِحُ
فإشرعَ راياتٌ و تحت ظِلالِها مِن القومِ أبناءُ الحروبِ المراجِحُ
وَدرنا كما دارتْ على قُطْبها الرّحى ودارتْ على هامِ الرّجالِ الصفائِحُ
بهاجرةٍ حتى تَغيّبَ نورُها وأقبلَ ليلٌ يقبضُ الطّرفَ سائحُ حُسامٍ
تداعىَ بنو عبسٍ بكلِّ مهنّدٍ يَزيلُ الهامَ والصفُّ جانِحُ

تصوّر هذه الأبيات موقفًا بطوليًا لقبيلة عبس من خلال التصوير الرائع الذي جاء به الشاعر ، لإعلاء شأن قبيلته ووصفهم بالشجعان . فقد أوجد عبر الصورة الكنائية مفارقة جميلة ((إذا ما مشوا في السابغات حسبتهم)) و هو مثال للإتحاد و القوة .

المفارقة التي أحدثها الشاعر في البيت الأول نلمسها بوساطة التضاد ، الحياة / الموت فالسابغات تمثل الفعل البطولي لأبناء القبيلة لإيجاد الحياة ، وهي مفردة توحي بحالة الايجاب . في حين يمثل (السيل) الدم الذي يثير الرعب والخوف . كما أنّ المفردة توحي من جهة ثانية بحالة من السلب التي يفرضها منطق الشدة أو الضيق . و إذا ما انتقلنا إلى البيت الثاني تطالعنا مفارقة أخرى في قوله :

فأشرع رايات و تحت ظلالها من القوم أبناء الحروب المراجحُ

لقد عكس البناء الصياغي من خلال الفعل الماضي (فأشرع) و الذي يمثل بداية الحدث المفعم عبر صورة التضاد ، القوة / الضعف ، حيث إن القوة تقابل الرايات ، فارتفاعها يرمز للإنتصار ، و هو حالة إيجابة بيما يمثل الجانب المقابل الخصم .

وللعاطفة دور مهم في الوصف إذ أنها تضفي على كل مشهد لون خاص فالوصف عند القدماء في الحرب حماسة و قوة [53] .

ومما يزيد من إحساس الشاعر بالمفارقة تحول الفعل السلبي إلى فعل إيجابي محسوس ، إذ تصبح الحرب عندهم وهي مكروهه وغير محببة إلى نفوس الناس أثرا إيجابيا موجها إلى المكان / القوم (أبناء الحروب المراجح) وكذلك تتحول (الرحى) والتي ترمز للخير و استمرار الحياة إلى عامل تدمير و هدم للحياة (و درنا كما دارت الرحى على قطبها) هنا الشاعر كان موفقا في تصويره للحرب (بالرحى) ؛ لأن الرحى رمز الحياة و في الوقت نفسه رمزًا للدمار والموت . وحسبنا القول :- أن حب عنتره الى قبيلته حب نابع من نفس مؤمنة بتلك القبيلة فهو لم يكن وحده الذي يحب قبيلته ،بل نرى ناقته التي رفضت أن تشرب الماء غير العربي ويظهر ذلك من خلال قوله [54] :

شربتْ بماء الدّحرُضَينِ فأصَبَحتْ زوراءَ تنفرُ عنْ حياضِ الديلمِ

الشاعر في هذا البيت ، قد ضرب أروع الأمثلة في الانتماء والوفاء ، إذ يتبنى عالما متفردا من خلال تلك المفارقة الإخلافية ، فهو يشبه نفسه بالناقة التي أبت أن تشرب من ماء الأعاجم .

و من خلال قراءتنا للبيت ، أراد الشاعر أن يضعنا أمام بنيتين متضادتيين ألا وهي ، الأخلاق / اللاأخلاق ، الإلتزام / اللاإلتزام سعيا منه لإظهار ولائه وحبه لقبيلته ، وهي أروع مفارقة من صنع خيال الشاعر ، أدهشت المتلقي و أثارة إعجابه و تأمله [55] ، كما إتخذ الشاعر من الناقة جسرا ليعبّر عن ذاته المتواضعة الهادئة في إنتمائه للعرب كلهم . و المفارقة تكمن في إنتماء الناقة إلى قبيلة دون أخرى في صورة حب جميلة . لم تقتصر المفارقة في شعر عنترة إلى الحيوانات بل تجاوزتها إلى الحشرات ، إّذ صوّر لنا أجمل المفارقات العجيبة و الغريبة و التي يمثلها قوله :

فترى الذبابَ يُغنّي وَحدهُ هَزِجًا كفعلِ الشّاربِ المُترنّمِ
غرِداً يسِنُّ ذراعَهُ بذراعِهِ فعْلَ المُكِبِّ على الزنادِ الأجذَمِ

ينطوي هذان البيتان على طور أحادي جهوري النبرة من ذات الشاعرإلى الآخر (قبيلة عبس) حوار يكشف عن الجملة اللغوية عن إجراء علاقة متوترة بينهما ، ويتجلى ذلك من خلال المفارقة في ثقافة الشاعر بين صورة الروضة والجنان التي يمثلها قوم الشاعر ، كما بدت عنده ،فهو يصور قومه بأجمل ألوان الصور ، ألا وهي الروضة و الحديقة التي يجتمع فيها الناس من كل القوميات ، و بالمقابل يصور الشاعر نفسه بالذباب (فترى الذباب يغني وحده... هزجًا)

إن تصوير الشاعر نفسه بالذباب لأنه يرى نفسه أمة قائمة ، و يأتي ذلك من خلال شجاعته التي أبداها ضد أعدائه . و هي من أروع صور الانتماء و لكن ((توقعات الشاعر المتحدث بضمير النسق الجمعي جاءت خائبة)) [56] وحسبنا ذلك قوله (فترى الذباب يغني وحده) .

فالصياغة جاءت معبرة عن ذات الشاعر الاحادية بمعزل عن الآخر القبيلة بدليل قوله (يسن ذراعه بذراعه) فضلا عن الصورة التي يصور فيها عزلته بأنه رجل أجذم (فعل المكب على الزناد الأجذم) إذن نحن أمام مفارقة أخرى تتجلى عبر صورة الفرح / الألم .

لجوء الشاعر إلى الصور المرئية و الانتقال من الجمع إلى المفرد يعد ((من السمات التضليلية التي تأسر وجدان الشاعر فيلجأ إليها لمداورة القارئ و تطرية لنشاط السامع)) [57] . وحسبنا القول : إنّ الشاعر صاغ أروع المفارقات في هذا النص من تشكيل وحدة نصية ملتحمة في فكرتها ، إلا أنه بيّن من خلالها تصادم الرؤى بينه و بين القبيلة ، وهي رؤية شاملة لفلسفة الانتماء في إطار موضوعة الاتحاد و القوة .

5- المفارقة الزمنية :

هي المفارقة التي تقوم على تفكيك اللغة وهدمها و إعادة صياغتها من جديد لتألف واقعًا جديدا ، ليستند في حضوره و وجوده إلى عنصر المشاكلة و التغير و التبديل ، نطلق عليها

المفارقة الزمنية [58] . و من وجهة نظر الدكتور كيركجورد ((هي المفارقة التي تحقق بحسب الوجود بأكمله ، وهي مفارقة جوهرية و المتصف بها لا يمتلكها طوال النهار)) [59] .

شغل عنصر الزمان الكثير من مفكري القدماء من اليونان و الرومان كأرسطو طاليس و إقليطس و أفلاطون . و من مفكري الغرب المحدثين نيوتن ، و كانت ، و مارتن ، و هيدجرز و قد تحول الزمن عندهم إلى عنصر أساسي و فعال في حياتهم فمنه ينطلقون و به ينتهون ، أما عند الأدباء فقد تحول إلى عنصر فني أصيل ، و استغلت فكرة بقدر كبير من الإبداع الروائي عند فرجينيا ، و وولف ، و جيمس جوليس (وصار مدار أبحاث عديدة منفردة ومجتمعة)[60] .

وعليه فالمعرفة بالزمان لم تعرف بالعصر الجاهلي ، بل كانت سابقة له ، منذ وجود الجنس البشري ، لذا ارتبطت هذه الفكرة (في أذهان القدماء بفكرة الوجود المحكوم بالموت و الفناء) [61] . و لهذا نجد أن الزمن عند الشاعر الجاهلي (يشكل و همًا أساسيًا فهو المدى الذي يتحرك في أناته و يحقق فيه أحلامه و أمجاده أو يفقد الأثنين معا ، فكأنه عراك خفي أزلي يدور بين الاثنين ، الزمان و الشاعر و تكون الغلبة فيه دائما للطرف الأول) [62] . لذا نلاحظ المفارقة الزمنية عند الشاعر نابعة من صميم الحالة النفسية التي تستولي عليه فنراه يخاطب الزمن الحاضر و المستقبل بقوله [63] :

أعاتبُ دهراً لا يلينُ لناصحٍ وأخفِي الجوى في القلْبِ والدمعُ فاضحي
وقومي مع الأيّام عونٌ على دَمِي قد طلبوني بالقنا والصفائحِ
وقدْ أبْعَدوني عَنْ حبيبٍ إحبهُ فأصبحتُ في قفرٍ عن الأنسِ نازحِ

تجسد هذه الأبيات الحالة اليائسة التي يعيشها الشاعر ، حيث أنه يلوم الدهر ، ويعاتبه ولكن هذا الدهر لا يصغي لأي إرادة إنسانية ، مهما كان جبروتها و قوتها ، وهو يعبرعن حالة الشاعر النفسية التي تعطل احلامه و أمنياته ، بعد إحساسه العميق بالوحدة و الوحشة بعيدا عن أهله و أحبته في ديار مقفرة لا ماء فيها و لا نبات .

إنّ احساس الشاعر بالألم ، مرهونً بجور الدهر عليه ((دهرًا لا يلين ، فهو يكشف عن حالته النفسية التي تسيطر عليه لحظة العنف وعدم الإصغاء ، وهي حالة توحي بالتشاؤم المرتبط بصيغة (لا يلين))هذه الصيغة الدالة على الشعور باليأس الحسي ، المرتبط بمفردة (الناصح) هذه المفردة التي سبقت بحرف الجر (اللام) الدالة لأتصاف بالشيء ، وعلى أن الشعور يستقرح قلب عنترة ، وباقِ الاعضاء كالعين ،التي كانت اكثر تأثرًا لمشاهدته من اضطهاد وعنف بحقه . وينعكس ذلك على قلبه الغياب المرتبط (بياء) المتكلم عبر مفردة (ماضي) التي توحي بالجو الداخلي المعبر عن صدقه . فالمفارقة تكمن بمخاطبة الدهر وغيابه . وبوساطة الزمن (الدهر) .

وتستمر معاناة الشاعر من قبل اهله وتزداد سوءًا ، فالوحدة والعزلة التي يعيشها تحولت الى هدر وقتله ، وهنا تبرز مفارقة اخرى عبر ثنائية اللون الاحمر / واللون الابيض ، فالأحمر

يمثل الدم والقتل الذي يذهب به الى الموت ، في حين يمثل اللون الابيض السلام ، ولاحظ هذه المفارقة هنا اكسبها عنترة صورة لونية (سوداء) من خلال الزمان الذي اصبح ندًا له . ومن الملفت للنظر نلاحظ الشاعر في البيت الاول خاطب الزمان (بالدهر)في حين نرى في البيت الثاني عبّر عن الزمان (بالأيام) وذلك لتشاؤمه الشديد من الحياة ، وتأتي مخاطبة الزمان بالدهر (على الزمان المتطاول الذي لا تكاد له نهاية لا من اوله ولا من اخره) [64] . وينتقل عنترة الى الإسلوب الخبري المرتبط بأسلوب التوكيد (وقد ابعدوني) لبيان سبب اقصائه عن حبيبته .

ومن خلال صيغة الماضي الدالة على الفعل (أبعدوني) هذا الفعل المرتبط بإقرار إقصائه من محبوبته ، حيث هذا الاقصاء المرتبط بالجار و المجرور (عن حبيبٍ) وقد جاء حرف الجر (عن) لدلالة البعد العاطفي بين الأثنين في مفردة (احبه) تأكيدًا على العلاقة بينه و بين محبوبته ، إذ اراد أنْ يوصل رسالة الى الاخرين بعلاقتهما معاً .

وبعد معرفة عنترة بقومه من عدم الرغبة في وجوده ، يعود الى رشده وبصيرته يأتي بمفردة (أصبحتُ) هذا الفعل المرتبط بالزمان ، لتوضيح موقف القبيلة منه . وهنا يرتبط المكان عبر مفردة (ابعدوني) بالزمان (اصبحت) ليكونا مفارقة زمنية ، وهذا راجع الى خيال الشاعر وقدرته التصويرية في إيجاد ارضية مناسبة لتطويع المفردات اللغوية التي تناسب موضوعه [65]

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول : أن الشاعر يستطيع الكشف عن واقعه من خلال الزمان والمكان و ارتباطهما معاً .

و في قوله [66] :

تركتُ جُريّةَ العَمْريّ فيه شَديدَ العَيرِ مُعتدِلٌ سديدُ

اراد الشاعرالتعبير عن القوة التي يحملها (جرية) وعلى الرغم من قوة (جرية) استطاع عنترة أنْ يطرحه ارضاً .

البيت جاء بصيغة الماضي المرتبط بالفعل (تركت) هذا الفعل الدال على نهاية المعركة التي جرت بين (جرية) وبين قبيلة عبس . فالشاعرفي هذا البيت اراد أنْ يضع مفهوماً لشجاعته و قوته .

ان المفارقة تدخل ضمن ثنائية الحق/الباطل ، ومن خلال هذا البيت الشعري الجميل حاول ان ضع مفهوما للحق ، والباطل ، لذا نراه هنا لم يبخس شجاعة الرجل ، على الرغم إنه عدوه لإحياء الحق وإماتت الباطل . وبوساطة هذه المفارقة أراد ألا يبخس الاخرين حقهم وشجاعتهم .

ونلاحظ أنها مفارقة خالية من المبالغة ، قريبة من الواقع ؛ لأنها نابعة من الحياة . ومن المفارقات الزمنية في شعره قوله [67] :

لأيّ حبيب يحسنُ الرأي والودُّ وأكثرُ الناسِ ليسَ لهم عهدُ
اريدُ منْ الأيامِ ما لا يَضرُّها فَهلْ دافعُ عن نوائبها الجهدُ

وما هذه الدنيا لنا بمطيعةٍ وليس لخلقٍ من مداراتها بدُّ

تكون الموالي والعبيد لعاجزٍ ويخدم فيها نفسه البطل الفردُ

يصيغ الشاعر ابياته على شكل قصة شعرية ، بوساطة الحوار المقترن بالإسلوب الاستفهامي الانكاري (لأي حبيبٍ) هذا الاسلوب يدل على حالة الشاعر المتأزمة ، متخذًا من الزمن جسراً يعبر به لمخاطبة حبيبٍ ، و كأنه يوجه سؤاله عن صدق الحب تجاه من يحب ولكن الشاعر على الرغم من تعلّق قلبه بالمحبوبة ، لا يجد صدى لهذا الحب في قلبها ؛ لأن لا عهد لها فيتجه نحو الزمان (الأيام) ولكنه لا يقدر على دفع جبروتها و بلائها ، وهنا تكمن المفارقة ؛ لأن الزمن لا يخاطب ولا يعاتب ، وإنما جاءت المخاطبة للإنسان العديم الاكتراث بهذه الدنيا ، فهي لا تعطي للإنسان كل ما يتمناه و يريده ، وأن يرضى بما قسمه له الله . وأن لا يعتمد على الآخرين في قضاء حوائجه .

ويمثل ذلك قوله [68] :

تكونُ المَواليَ والعَبيدُ لعاجزٍ ويَخدُمُ فيها نَفسَهُ البَطلُ الفَرْدُ

وهنا تبرز مفارقة اخرى ، وهي مثال للعجز الإنساني .

وختامًا نقول ، المفارقة في الشعر الجاهلي بعامّه ، وشعر عنترة خاصة لم تكن مقصودة لذاتها وإنما جاءت عفوية .

الخاتمة

لم يعرف هذا المصطلح الّا في العصر الحديث . ومن خلال قراءة الديوان ، نجد أنّ المفارقة توزعت بين مفارقة الحياة و الموت ، ومفارقة الموقف التي توزعت بين القيم الاجتماعية والوجدانية ، اذ اتضح من خلال تحليل شعر الشاعر ، كان يعاني إنكسارا نفسيا في ضغوطات مجتمعه الذي كان ينظر اليه ، نظرة إحتقار .

امّا في مفارقة الموقف نلاحظ أنّ عنترة كان متمسكاً بقبيلته ، على الرغم من كرههم وحقدهم عليه . و اخيرا تأتي مفارقة الزمن التي تطبق على الشاعر وتجعل منه فردا متشائمًا بائسًا من الحياة .

هوامش البحث و مصادره

القرآن الكريم

1- المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية و التراث الغربي دراسة تطبيقية ، د.نعمان عبد السميع متولي : 14 ، دار العلم و الايمان للنشر و التوزيع ، ط1 – 2014 .

2- المصدر نفسه ، 15 .

3- العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، أب علي الحسن بن رشيق القيرواني ، قدم له و شرحه و فهرسه ، د. صلاح الدين الهواري ، 1- هدى عودة : 481/1 ، دار و مكتبة الهلال – 2002 م .
4- أسرار البلاغة في علم البيان ، للإمام عبد القاهر الحرجاني ، علق عليه محمد رشيد رضا : 82 ، دار المطبوعات العربية للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة – د.ت .
5- المفارقة و الأدب دراسات في لنظرية و التطبيق ، د. خالد سليمان : 17 ، دار الشروق عمّان ، ط 1 – 1999 م .
6- المفارقة و صفاتها وي – سي ميوبك ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة ، موسوعة المصطلح النقدي : 62 ، دار المأمون للترجمة و النشر ، بغداد ، 1987 .
7- المفارقة ، نبيلة ابراهيم ، مجلة فصول ، مج 7، ع 3-4 ، 1987 : 132 .
8- ابن صفاء الملك و مشكلة العقم و الابتكار في الشعر ، د. عبد العزيز الاهواني : 105 مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة – 1962 م .
9- ينظر : المصدر نفسه .
10- الأدب تعريفه – أنواعه – مذاهبه ، د. أنطونيوس بطرس : 13 ، المؤسسة الحديثة للكتاب – طرابلس – لبنان – ط1 – 2011 م .
11- المفارقة في شعر المتنبي ، د. عبد الهادي خضير ، مجلة المورد ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد مج35 – ع1 – 1429 هـ – 2008 م ، 61 .
12- المفارقة و المفاجأة في شعر أحمد مطر ، د. فليح كريم الركابي ، مجلة كلية الآداب ع-66 ، 99 .
13- صورة العدو في شعر المتنبي ، د. نوزاد شكر الميزاني : 143 ، دار الزمان للطباعة و النشر – دمشق – سوريا ، ط1 – 2010 م .
14- عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة ، د. نائل حنون : 9 ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط2 – 1986 .
15- المصدر نفسه : 9 .
16- ملحمة كلكامش ، طه باقر ، اللوح الحادي عشر : 147 ، مطابع الجمهورية بغداد .
17- ينظر : المصدر نفسه : 147 و ما بعدها .
18- جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا ، د. يوسف عليمان : 281 دار الفارس للنشر و التوزيع – عمان – الاردن ، ط 1 – 2004 م .
19- المفارقة موضوعا شعريا قبل الاسلام ، د. أحمد اسماعيل النعمي ، مجلة كلية التربية للبنات ، بغداد : 2 .
20- ديوان عنترة ، محمد علي سلامة : 181 ، دار الصحوة ، ط1 – 2010 م .
21- ديوان عنترة ، محمد سعيد مولوي : 252 ، المكتب الاسلامي .
22- المصدر نفسه : . 255 .
23- دراسات في الادب الجاهلي ، د. عبد العزيز نبوي : 27 ، مؤسسة المختار ، ط3 – 1425 هـ – 2004 م .
24- جماليات التحليل الثقافي في الشعر الجاهلي نموذجًا : 296 مصدر سابق .
25- ينظر : شعر بني أسد في الجاهلية ، د. أحمد موسى الجاسم : 39 ، دار الكنوز الادبية ، ط1 – 1995 .
26- ينظر : القبيلة في الشعر العربي قبل الاسلام ، د. أحمد اسماعيل النعمي ، رسالة ماجستير آداب المستنصرية ، 1985 – 168 .
27- قيم جديدة للأدب العربي القديم المعاصر ، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) : 26 ، معهد البحوث و الدراسات العربية – مصر – 1996 .

28 – الأعشى الكبير ميمون بن قيس شاعر اللذة و الحياة دراسة و تحليل ، د. مفيد محمد قيميمة ،85 ، دار الآفاق الجديد ، بيروت ، ط1 – 1417 – 1997 م .

29- ديوان عنترة ، محمد سعيد مولوي : 207 .

30- ينظر : الشعر الجاهلي قضاياه و ظواهره الفنية ، د. كريم الوائلي : 11 ، دار العالمية

31- المصدر نفسه : 15 .

32- ديوان عنترة ، محمد سعيد مولوي : 246 و ما بعدها .

33- حجازيات الشريف الرضي قراءة نقدية في مجلات التفكير و التعبير ، نادر عبد الكريم حقاني : 144 ، دار النهج للدراسات و النشر – سوريا – حلب ، ط1 ، 1431 هـ – 2010 م .

34- الأدب العربي من ظهور الاسلام الى نهاية العصر الراشدي دراسة وصفية نقدية ، د. حبيب يوسف متيه : 27 ، دار و مكتبة الهلال ، 2002 م .

35- مقدمة ديوان عنترة ، محمد سعيد مولوي : 18 .

36- ديوان عنترة ، محمد سعيد مولوي : 248 .

37- الثنائيات المتضادة في الشعر العربي في القرن الثالث الهجري أطروحة دكتوراه ، تقدمت بها هدى هادي عباس إلى مجلس كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ،1420 – 1999 م : 41 .

38- دراسات في الشعر العربي القديم ، د. بهجت عبد الغفور الحديثي : 14 ، مطبعة التعليم العالي – بغداد .

39- المفارقة موضوعًا شعريا قبل الاسلام ، د. أحمد إسماعيل النعمي : 10 ، مصدر سابق .

40- ديوان عنترة ، فوزي عطوي : 80 ، دار صادر .

41- الغزل في العصر الجاهلي ، د.أحمد الحوفي : 65 ، مكتبة نهضة – مصر القاهرة ، ط2 – د – ت .

42- ديوان عنترة ، فوزي عطوي : 85 .

43- المصدر نفسه : 98 .

44- الآخر في دواوين شعراء المعلقات العشرة ، أطروحة دكتوراه ، تقدم بها حمادي خلف الركابي إلى مجلس كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد – 1435 هـ ،2014 م : 126 .

45- ينظر : ثنائيات الرؤيا في شعر طرفة بن العبد رسالة ماجستير تقدمت بها آلاء محمد لازم إلى كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد ، 1420 هـ – 2000 م ، 75 .

46- المرأة في الشعر الجاهلي ، د. علي الهاشمي : 134 ، مطبعة المعارف – بغداد ،1960 م .

47- الحب عند العرب ، إعداد المكتب العالمي للبحوث : 41 ، القاهرة – 1973 م .

48- الانتماء في الشعر الجاهلي دراسة ، د. فاروق احمد سويلم : 14 ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب .

49- المصدر نفسه : 15 .

50- ديوان عنترة : محمد سعيد مولوي : 297 .

51- ينظر : الأدب و تاريخيه ، أ- محمود مصطفى : 1 / 125 ، مطبعة البابي الحلبي و أولاده – مصر – 1351 هـ – 1937 م .

52 ديوان عنترة ، محمد سعيد مولوي : 297 و ما بعدها .

53- تاريخ الأدب في العصر الجاهلي ، د. عبد الرحمن عبد الحميد علي : 239 ، دار الكتاب الحديث ، 1448 هـ – 2008 م .

54 – ديوان عنترة ، محمد سعيد مولوي : 200 .

55- المفارقة في شعر المعري دراسة نقدية ، د. حسن عبد راضي : 14 ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ط 1 – 2013 م .

56- جماليات التحليل الثقافي في الشعر الجاهلي نموذجًا : 293 ، مصدر سابق .
57- أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات ، عبد الله صغير ، 11 ، عالم الكتب الحديث اربد – الأردن ط1 – 2013 م .
58- المفارقة و صفاتها دي – سي ميويك : 79 مصدر سابق .
59- في بنية الشعر ال58- في بنية الشعر العربي المعاصر ، محمد لطفي اليوسفي : 29 ، سراس للنشر .
60- تجليات الدهر العربي ، فاروق شوشه ، مجلة العربي ، ع – 52 ،2003 م : 241 .
61- الزمن في الشعر العربي قبل الاسلام ، عبد الإله الصائع : 242 ، دار الشؤون الثقافية – بغداد ، 1986 م
62- المصدر نفسه : 269 .
63- ديوان عنترة علي سلامة : 41 .
64- الزمان في الفكر الاسلامي ، ابراهيم العاني : 67 ، دار المنتخب العربي ، بيروت ط1 .
65- التفسير النفسي للأدب ، د. عز الدين اسماعيل : 74 ، دار العودة – بيروت 1988 م .
66- ديوان عنترة ، محمد سعيد مولوي : 282 .
67- شرح ديوان عنترة ، الخطيب التبريزي ، قدم له و وضع هوامشه و فهارسه ، مجيد طراد : 54 ، دار الكتاب العربي ، ط1 – 1412 هـ – 1992 م .
68- المصدر نفسه و الصفحة .
69-المصدر نفسه و الصفحة .

Abstract:

The term "irony" was not common in ancient Arabic monetary studies, such as its circulation or its prevalence in studies and research in our time, but it deals with names other than the term "irony", such as: exposure, praise, , Or metaphor, and so on, meaning that the name was present, but not under the name / term (paradox) that has been completed, and mature, almost in modern literature: poetry and prose, so that it became a new artistic phenomenon and modern technology is acquired by critics in the language of the new poem And the old, employed by the poet l Show the contradiction between two opposite sides.

The technique of narrative paradox is one of the most important techniques used by poets in their hair, because it provides a great deal of poetry reduction, and condensation it contains, as well as provide a vision of the existence of a large dynamic and to raise the attention of the recipient. Hence, the term has been used in recent studies, and scholars have attached